ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449 مجلة الآداب و العلوم الإنسانية
مجلد: 05. عدد: 02 السنة :2006

المداخلة في ملتقى الأمير عبد القادر.

عنوان المداخلة: فكر الأمير عبد القادر السياسي ورؤيته للآخر من خلال مراسلاته مع الفرنسيين والسلطة العثمانية.

الأستاذ محمد أوجرتني
قسم التاريخ
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة
m.oudjertni@gmail.com

introduction

The year 1830 was a real catastrophe for Algeria and the Algerians, with the profound negative changes it brought about and the serious negative consequences it produced. The local situation would not have been as effective as this with the presence of a central political authority that achieved unity and stability in the region, as the entire political system collapsed and all features of the state disappeared. Algeria with the surrender of Dey Hussein and the French control over the Algerian province, and the Algerians did not stand by as they began to resist the French occupation by all means.

The resistance of Prince Abdul Qadir, which he led from 1832 to 1847, was through which he was able to try to stand in the face of comprehensive settler colonialism. He had many battles and various agreements with him, and Prince Abdul Qadir exchanged with various active parties in that era, such as the French leaders, the Ottoman Sultan, and some local leaders. And leaders of religious orders.

Prince Abdul Qadir's political experience was derived only from Arab and Islamic traditions and the jurisprudential and religious visions that reached him through communication with religious leaders or through the results of the discussions that he conducted in his government and his military council, but despite that, it was distinguished by discipline, dignity, and openness to human values. And what was usual in the traditions of politics at that time.

In order to know the levels of thinking and communication of Prince Abdul Qadir and his mechanisms, historians and researchers collected the correspondence they were able to collect,

which constitutes an important historical source, through which the features of the Prince's intellectual and political personality and his vision of the various issues that faced him during the period of his management of the resistance from 1833 to 1847 or During the period that followed, he chose to stop resistance and be exiled to the Levant. The writings written about him, the memoirs of the French leaders who contemporaneous him, and the historians who dealt with his life, his resistance, and aspects of his life also constitute a new and important source for completing the historical picture.

عناصر المداخلة:

1. **مقدمة**
2. **الأوضاع المحلية والإقليمية.**
3. **الأمير عبد القادر يقود المقاومة.**
4. **انتهاء مقاومة الأمير و انعكاساتها.**
5. **مراسلات الأمير عبد القادر مع قادة الاحتلال.**
6. **معالم الفكر السياسي للأمير.**

الموقف من قيم الدولة الفرنسية

الانفتاح على الحضارة الغربية ومنجزاتها:

رسائله إلى السلطنة العثمانية:

تقدير السلطان العثماني عبد المجيد الأول للأمير عبد القادر:

7. **خاتمة:**

1. مقدمة

كانت سنة 1830 نكبة حقيقية على الجزائر والجزائريين، بما أحدثته من تغييرات سلبية عميقة وما أفرزته من نتائج سلبية خطيرة، ولم يكن الوضع المحلي ليكون بمستوى هذا التأثير بوجود سلطة سياسية مركزية، تحقق الوحدة والاستقرار في المنطقة، حيث انهار النظام السياسي برمته واندثرت كل معالم الدولة الجزائرية باستسلام الداي حسين وسيطرة الفرنسيين على الإيالة الجزائرية، ولم يقف الجزائريون موقف المتفرج حيث شرعوا في مقاومة الاحتلال الفرنسي بكل الوسائل.

فكانت مقاومة الأمير عبد القادر التي قادها من 1832 إلى 1847 تمكن من خلالها من محاولة الوقوف في وجه الاستعمار الاستيطاني الشامل، وكانت له معه معارك عديدة واتفاقيات مختلفة، وتبادل الأمير عبد القادر مع مختلف الأطراف الفاعلة في تلك الحقبة كالقادة الفرنسيين والسلطان العثماني وبعض رجال القادة المحليين وزعماء الطرق الدينية.

لم تكن تجربة الأمير عبد القادر السياسية مستمدة سوى من التقاليد العربية والإسلامية والرؤى الفقهية والدينية التي بلغته من خلال التواصل مع الزعماء الدينيين أو من خلال ما يفضي إليه النقاش الذي كان يديره في حكومته ومجلسه الحربي، لكنها رغم ذلك كانت متميزة بالانضباط والوقار والانفتاح على القيم الانسانية وما جرت عليه العادة في تقاليد السياسة في ذلك الوقت.

ومن أجل معرفة مستويات التفكير والتخاطب عند الأمير عبد القادر وآلياته جمع المؤرخون والباحثون ما تمكنوا من جمعه من مراسلات والتي تشكل مصدرا تاريخيا مهما، حيث يتم من خلالها رسم معالم شخصية الأمير الفكرية والسياسية ورؤيته لشتى المسائل التي واجهته خلال فترة إدارته للمقاومة من 1833 إلى 1847 أو خلال الفترة التي تلتها بعدما اختار التوقف عن المقاومة والنفي إلى بلاد الشام. كما تشكل الكتابات التي كتبت حوله ومذكرات القادة الفرنسيين الذين عاصروه والمؤرخين الذين تناولوا حياته ومقاومته وجوانب من حياته مصدرا جديدا ومهما لاستكمال الصورة التاريخية.

2. الأوضاع المحلية والإقليمية

نشأ الأمير عبد القادر وترعرع في منطقة بايلك الغرب الجزائري وكانت المنطقة خاضعة لنفوذ القبائل المختلفة بحكم تركيبتها الاجتماعية فبعضها ذات نفوذ ديني وسياسي، وبعضها الآخر ذات نفوذ تجاري منها قبائل الأحرار وأولاد خليف، وهي من القبائل الكبيرة لتي كان لها تأثيرا كبيرا على مجريات الأحداث في القطاع الوهراني، منذ بداية عملية الاحتلال الفرنسي وكانت قبائل أخرى شكلت اتحادات قبلية يمكن تسميتها بالكنفدراليات.

فقد كان المجتمع في الجهات الغربية للجزائر يخضع لمنطق القوة القبلية وكان بعضها مواليا للسلطة المركزية التركية حيث تمتع بالنفوذ والامتيازات المختلفة، ومنحته الدولة ألقاب

الحكم والتمثيل كألقاب الأغويات. ورغم ذلك كانت العلاقة بين القبائل في المنطقة والسلطة التركية لا تستقيم على وضعية فتارة تصفو وتارة تتكدر.

فقد شهدت المنطقة نشوب عدة ثورات وانتفاضات شعبية قام بها الأهالي بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ضد السلطة التركية، بسبب السياسة الضريبية القاسية منها ثورة محمد الشريف الدرقاوي الذي هز كيان الدولة1.

وكان بايلك الغرب قبل 1830 يعيش أجواء سيئة جدا كغيره من الأوطان حيث غاب الأمن وانتشرت المجاعات والأوبئة مثل وباء 1823 2.

ورغم أن بايلك الغرب الذي احتضن مقاومة الأمير له تاريخ كبير وأسبقية في التفاعل مع قضايا البحر الأبيض المتوسط، فقد ظلت أجواؤه السياسية غامضة خاصة خلال القرن السادس والسابع عشر، ويمكن إرجاع سبب ذلك للاحتلال المبكر الذي تعرضت له جهات كثيرة من المنطقة، وعجز العاصمة التاريخية لبني زيان "تلمسان" من أن تكون نواة لعاصمة المنطقة وتتبوأ الصدارة، ولذلك لم يذكر المؤرخون إلا عددا قليلا من بايات الغرب نظرا لاضطراب أحواله3، وتعرضه للاحتلال مرتين ووقوعه في خط المواجهة الأول مع الإسبان.

حكم بايلك الغرب نحو 26 بايا آخرهم الباي "حسن بن موسى" الذي يسمى عند العامة "حسان الباهي"4، وتباين أداء حكام البايلك مع الحراك الديني والسياسي والعلمي، فكان منهم من عمل على تشجيع العلم والثقافة وبرزوا بأعمالهم الجليلة.

---

1 - قدور بوجلال، **ثورة ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب1805-1813م**، في مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، جامعة اسطمبولي مصطفى معسكر، المجلد 04 العدد سنة 2021. ص ص 598-619.

2 - بن قادة الصادق، **الذاكرة المكتوبة والتاريخ أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني القرن19**، في مجلة انسانيات معهد العلوم الانسانية جامعة قسنطينة 1998 .ص.ص35.45.

3 - تراجع لمزيد من الاطلاع مذكرة: كمال بن صحراوي، **الأوضاع العامة في ريف بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر،.2014 .

4- كان "حسن باي" طباخا للانكشارية ثم صار بائعا للتبغ وكان ذا سياسة ودراية فقربه الباي "بوكابوس" منه ثم صاهره وهكذا فتحت أمامه المناصب السامية حتى تولى البيلكة سنة 1826، وكان قبل ذلك يحب الضعفاء والمساكين والعلماء ويقربهم، ثم تبدل وتغير مثلما ينقل المزاري بن عودة عن شيخه محمد بن يوسف الزياني، انظر: مسلم بن عبد القادر، **المرجع السابق**، ص34.

وفي 1780 تولى حكم بايلك الغرب الباي "محمد بن عثمان" المعروف بمحمد الكبير فاستأثر بجل مآثر الذكر التي جمعها المؤرخون ودارت حولها مكارم الأفعال لبايات الغرب جميعا، خاصة معركة تحرير وهران سنة 1792.

وكان يحكم بايلك الغرب عشية الاحتلال الفرنسي حسن باي وكان شيخا طاعنا في السن في السن لكن سجله لا يخلو من الكثير من السياسات الفاشلة، التي جعلت منه رمزا للتهور وسوء وسوء التصرف واستعمال القسوة الشديدة في التعامل مع خصومه وكان أصله طباخا في ثكنة ثكنة الانكشارية فقربه الباي بوكابوس وزوجه ابنته وظل يرتقي في المناصب حتى تولى البيلكة في 1821[1]. وبقي فيها حتى 1830. وقد كان شديدا على الرعية والطرق الدينية حيث قاد حملة على التجانيين[2] سنة 1826 وقتل من مريديها المئات.

ومما ارتكبه الباي حسن قتله للشيخ "بلقندوز" ببرودة دم دون مراعاة لمكانته ولرمزيته في ولرمزيته في المدينة، وقد ذكر الحادثة المزاري3 حيث يقول أن الباي حسن جمع جيشا كبيرا اتجه به نحو زاوية الشيخ بلقندوز القادرية بـ"مينا"4، ولم يكن مع الشيخ سوى طلبة القرآن، فعدل عن ذلك قائلا هذا الشيخ لا يثور ضدنا. وفي المرة القادمة قام الباي حسن بقتل الشيخ في الطريق5.

كانت ممارسات هذا الباي وسياسته مع الرعية الشديدة والقاسية، إيذانا بنهاية الظلم، الظلم، فقال عنه الزياني :"واعلم أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم والمناكير6. وبعد سقوط مدينة الجزائر اتجهت أنظار فرنسا للغرب حيث احتل "دام ريمون" المرسى الكبير في 1830/12/13 ثم وجه فلوله نحو وهران وحاول الباي "حسن" التفاوض مع فرنسا لكنه أدرك عجزه عن المقاومة فسلم الباي مدينة وهران للفرنسيين دون مقاومة بسبب رفض الأهالي تقديم العون له قال أبو القاسم سعد الله:"

1 - مسلم بن عبد القادر الوهراني ، ص34.

2 - محمد شاطو، **السلطة العثمانية وعلاقتها بالطرق الصوفية**.في مجلة مواقف جامعة معسكر ، الجزائر، العدد03، 2008، ص164.

3 - المزاري بن عودة، **المرجع السابق** ، ص362

4 - "مينا" إحدى قرى جنوب وهران.

5- Ahmed Amine Dellai, "Document d'histoire et de littérature algériennes L'assassinat de cheikh Belguendouz par le Bey Hassan d'Oran en 1829. ..d'après un chant melhoun. du poète Charef Bentakkouk" **in Insaniyat**.. 2014. http://insaniyat.revues.org/

6 - الزياني بن يوسف، **المرجع السابق**، ص 253.

خرج الباي حسن من إقليمه وتركه في حالة فوضى يواجه العدو بدون قيادة ولا إدارة ولا جيش، ولا نظام، ولا دستور1." ودخل الفرنسيون المدينة في 1831/01/13.

قال "مسلم بن عبد القادر" بعد سقوط مدينة وهران بيد الاحتلال الفرنسي، الاعتبار بهذه النهاية المؤلمة التي خالف بها رؤية الرحالة الورتلاني2 من قبل :

أدبهم ربهم لـما طغوا عرفـهم بغدرهم لما بغوا

فانشئوا بالظلم ليس من عدل فأُخذوا أخذا وبيلا بالمهل

وكان الصراع بين القبائل والتنافس من أجل طلب الرئاسة والزعامة والنفوذ أجج القبلية التي اغتنما الأتراك لإخضاع الجميع تحت سلطتهم[3]، و عَبَّرَ عن ذلك أحمد باي قسنطينة في مذكراته بقوله : " إن الحرب هي عادة الأعراب وأن الذي يريد أن يحكمهم قد يَتَحَتَّمُ عليه إبقاؤُها بينهم والتحريض على المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس"[4].

3. الأمير عبد القادر يقود المقاومة.

لم يكن أمام الأهالي في المناطق الغربية للإيالة خيارا آخر سوى الالتفاف حول الدين شيخ الطريقة الصوفية التي تعرف بالقادرية وكانت منتشرة بصورة كبيرة في هذه الجهات، وقد ثبت عند كثير من المحققين نسبه الشريف5، حيث ذكر بعضهم رواية تناقلها الطلبة والمريدون عن الأمير عبد القادر قوله أنه عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القاضي بن أحمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس أحد أبناء عبد الله الكامل بن الحسن

---

1 - ابو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزء01، الطبعة01، دارالغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992، ص 167 .

2 - يرى الحسين الورتلاني أن حدوث الفتن ووقوع البلاد تحت طائل الفوضى والهرج والمرج والقتل واستباحة الأموال والأنفس ليس من باب عقوبة نقمة وعذاب ينزل بأهلها من الله وإنما ينزل بهم من باب الابتلاء. انظر الورتلاني، **المصدر السابق**، ص351.

3 - أرجموند كوران، **السياسة العثمانية تجاه احتلال الجزائر 1827 / 1847**، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، ص 16.

4 - محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1981،ص 47.

5 - رابح بونار **الأمير عبد القادر حياته وأدبه، مجلة آمال، عدد خاص عن الأمير عبد القادر، جويلية، الجزائر، 1970.** ومحمد بن الأمير عبد القادر **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، تحقيق وتعليق: ممدوح حقي، بيروت، 1964.

المثنى بن الحسن بن علي رضي الله عنه وفاطمة الزهراء. وقد كان لهذا النسب دورا كبيرا في التفاف الناس حول محي الدين الشيخ الكبير وتوفر الثقة في نسله وتأكدوا من رعاية الله له بفضل هذا الانتساب.

وقد زاد في وجاهة أسرة الأمير عبد القادر كونها أسرة علم وفقه وصلاح فامه كانت ذات نسب ومعلمة ومثقفة بثقافة بيئتها التي تجمع على الاحترام والركن لتنشئة الاسرة تنشئة صالحة ورعاية الأولاد وتوجيههم نحو الخير والصلاح، كما كانت البيئة الفلاحية التي نشا فيها الشيخ محي الدين وأبناؤه ومنهم الأمير عبد القادر في منطقة سهول غريس، لعبت دورا في اكتساب أفراد الأسرة مهارات ركوب الخيل والصبر والحمية وأخلاق الفروسية، وتعلم فنون القتال والجلاد والتحمل.

وما من شك فان الشيخ محي الدين قد عمل على تشجيع أبنائه على هذه السجايا وحثهم على طلب المعالي ومصاف الرجولة الفائقة، وهذا ما انعكس تماما على شخصية الأمير عبد القادر، الذي تجمعت فيه أغلب صفات الكمال الخلقي والديني والفكري والسياسي والعسكري أهلته ليقود المقاومة بعد أبيه ويشكل رمزا من رموز الدولة الجزائرية الحديثة.

وبعد سقوط العاصمة وتخاذل الباي حسن في نصرة مدينته وهران التي سلمها على طبق من ذهب للغزاة الفرنسيين التف السكان حول الطرق الصوفية لحمل لواء الجهاد ونصرة الدين وحماية الوطن، وفي هذا الشأن يقول أبو القاسم سعد الله :" ولما أحس المرابطون ورجال الطرق الصوفية بالمسؤولية الدينية في القيادة الروحية وجمع الشمل والوقوف ضد العدو تحت لواء الجهاد، اختاروا مبايعة الشيخ محي الدين سنة 1832 لقيادة جموعهم ومحاربة الغزاة" وهذا خلافا لبايلك الشرق الذي التف الناس فيه حول أحمد باي قسنطينة ليقود المقاومة[1]."

وقد لعبت الطبيعة القبلية دورا مأساويا كافية لنشر البغضاء والشقاق بين مكونات المجتمع وإضعاف الأهالي وتهيئة المجال للسيطرة الفرنسية وتوغل النفوذ الفرنسي بعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830، حيث عجزت القبائل ومختلف الكيانات القائمة على تأخيره والنجاة من الفناء والقتل والتهجير الذي كان يتهددها.

1 - أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزء01، الطبعة01، دارالغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992، ص 167 .

وبعد الاحتلال سارت فرنسا في تسيير هذه الجهات والتعامل معها بنفس الأسلوب مثلما فعل كذلك الأمير عبد القادر ومن أبرز القبائل في المنطقة وأكثرها نفوذا آغوية "أولاد خليف[1]" و"الأحرار[2]".

وفي 27نوفمبر 1832 سارعت مجموعة من القبائل إلى مبايعة الأمير عبد القادر لتشكيل إمارة إسلامية[3] وتوحيد الصفوف والقبائل تحت راية الجهاد والمقاومة ضد المحتل الفرنسي، ثم بويع مرة ثانية في شهر رمضان سنة 1248 الموافق 04فيفري1833 في أحد مساجد مدينة معسكر حيث قدمت له قبائل كثيرة فروض الطاعة والاستعداد للجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، ووجه بنفس المناسبة رسالة إلى أهالي البلاد يبين لهم طبيعة الحركة وأهدافها النبيلة، واستمرت جذوة الثورة والمقاومة حتى 1847[4].

كانت الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد سيئة بسبب التخلف والفقر حيث شرع الأمير يدعو لوحدة الصفوف وترك الخلافات، فأفتى الأمير العلماء بوجوب محاربة أعداء الدّين والوطن. كما سعى إلى تكوين جيش منظم وتأسيس دولة موحّدة من مختلف القبائل التي تسكن تلك الجهات.

ووقفت العديد من القبائل بادئ الأمر إلى جانب مقاومة الأمير عبد القادر وظلت تمكنه من المال والنفوذ والسلاح كلما طلب منها، ووجدت الإدارة الاستعمارية صعوبة بالغة في إخضاعها،

ومن التحديات التي واجهت الأمير إعادة كثيرة منها الأمن للبلاد والقضاء على واللصوصية وقطاع الطرق، ومنها وقوف قبائل عديدة بجانب قوات الاحتلال خاصة منها قبائل دواير و زمالة[5] إلى سلطة الاحتلال الفرنسي، حيث قام قائدها مصطفى بن

1 أولاد خليف تتشكل من أربعة بطون هي أولاد الخروبي، أولاد بورنان "الصحاري الشراقة" والقنادزة وقصر كوجيلا، يحدهم من الناحية الشمالية العويسات وبني لانت وشرقا أولاد شايب وأولاد نايل، وجنوبا الحجيلات، وغربا الأحرار.

2- الأحرار قبائل متجمعة تحت تحالفات محلية يقوم نشاطها على تربية الحيوانات وفلاحة الأرض استوطنت سهل السيرسو جنوب تيارت، وينقسمون إلى فخذين كبيرين هما الأحرار الشراقة والأحرار الغرابة، تناولهم بالدراسة الكثير من الباحثين الفرنسيين والكتاب المحليين من أمثال الأغا بن عودة المزاري في كتابه طلوع سعد السعود.

3 مقلاتي عبد الله **المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1954** ديوان المطبوعات الجامعية 2014. ص33.

4 - محمد بن الأمير عبد القادر، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج9، المطبعة التجارية.

5 - كمال صحراوي، **المرجع السابق**، ص90.

اسماعيل بالتحالفات رسميا مع الفرنسيين بعد اتفاقية الكرمة سنة 1835[1]، وشارك إلى جانب الفرنسيين في عدة معارك ضد الأمير [2].

ويكشف الكثير من المؤرخين أن سبب تحالف هذا الأخير مع الفرنسيين هو الغيرة الغيرة والحسد والرغبة في تولي مشيخة القبائل رغم ان محي الدين والد الأمير عبد القادر قد عرض قد عرض عليه الامارة لكنه تظاهر بالرفض3 وكان شديد الحقد والضغينة للامير حيث يقول للناس كيف بايعتم هذا الشاب الصغير عديم الخبرة والتجربة[54].

هذا وقد كاتب الأمير أحد أعيان الزمالة وهو أحمد ولد قادي يعرض عليه إعادة جميع أملاكه مقابل الانضمام إليه فرفض العرض وتمسك بالولاء لفرنسا. فشارك مع بيجو في مواجهة الأمير وهزمه في معركة "السكاك".

وشارك ضباط الأهالي المتحالفون مع فرنسا في وأد ثورة بومعزة التي انتشرت في المنطقة المنطقة وفي هذه الظروف الصعبة ومنحتهم فرنسا النياشين لخدمتها باخلاص6.

في سنة 1852 شاركوا في حملة احتلال الأغواط وسر بهم الماريشال بيليسييه كثيرا. وكذلك كثيرا. وكذلك في قمع ثورات ورقلة سنة 1853 وأحداث الجنوب الوهراني سنة 71864.

لقد فهم هؤلاء مهمة فرنسا وسعوا لتوطيد العلاقات معها وتسخير كل شيء لخدمتها[8].

---

1 - اتفاقية "الكرمة" نسبة إلى الكرمة وهي قرية تقع جنوب وهران، حيث شهدت توقيع اتفاق مبدئي بين القائد الفرنسي تريزيل وزعيم الدوابر والزمالة مصطفى بن سماعيل وذلك في 16 جوان 1835، منح الاتفاق بموجبه القبائل الموقعة صفة الحلفاء المهمين لقوات الاحتلال الفرنسي ووضعها بالتالي ضمن خانة الخصومة والعداوة للأمير عبد القادر، الذي لم يستطع تفكيك هذا التحالف رغم مختلف محاولاته. انظر كمال صحراوي معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن19، ألفادوك للنشر والتوزيع قسنطينة، 2020، ص142 و

Alexandre Bellemare, **Abd-el-Kader sa vie politique et militaire**, présentation de Claude Bontemps éditions Bouchène, Paris,2003, p60.

2 - بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص113.

3 - بن عودة المزاري، الجزء02، المرجع السابق، ص369

4 - Arsène Breteuil, **l'Algérie française histoire, — mœurs — coutumes —industrie — agriculture,** t1, Dentu libraire-éditeur, palais-royal, Paris,1856, p.307.

5 - Arsène Breteuilm opcit, p328.

6- Narcisse Faucon, ibid,

7- Narcisse Faucon, opcit, p.

8- ibid, p.

وذكر مؤرخ البلاط المغربي المولى الناصري صاحب كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى حسبما أورده المزاري أن الجنرال مصطفى بن اسماعيل يعد من أكثر الشخصيات التي ساهمت في تملك فرنسا للجزائر.[1]

وواجه الأمير كذلك في إدارة دولته تحديات تتعلق بالتصدي للثورات الدينية كتلك قادها أحمد التيجاني في منطقة عين ماضي والتي أرهقت جيوش الأمير وأشغلته عن مقاومته الباسلة ضد الاحتلال الفرنسي[2].

ولم تشغل الأمير عبد القادر هذه السفاسف لتصده عن أموره الجليلة التي انخرط فيها لتنظيم شؤون البلاد، فقسّم البلاد إلى أقاليم ومقاطعات ليسهل عليه تسييرها، حيث قسمها إلى ثمانية مقاطعات أو ولايات.

نظرا لتنامي قوة الأمير عبد القادر وبداية تحكمه في المناطق التي قبلت الانضواء سلطانه اضطرت فرنسا إلى عقد هدنة ديميشيل معه سنة 1834[3].

وفي28جوان 1835 اخترق الجنرال تريزيل الهدنة لكنه انهزم أمام جيوش الأمير في موقعة وادي المقطع شمال شرق مدينة وهران حيث فقد الفرنسيون نحو 300 قتيل، سببت غضبا كبيرا في الأوساط الفرنسية، ثم انهزم في وادي التافنة سنة 1837 مما اضطر الماريشال بيجو إلى عقد معاهدة التافنة معه في نفس السنة4.

لم يكن في عزم الفرنسيين الإبقاء على دولة محلية في المغرب الأوسط بزعامة الأمير فنقضوا معاهدة التافنة في 1839 وشرعوا في حرب إبادة وحرق وتخريب للممتلكات والقتل للنساء والأطفال والشيوخ وحرق القرى ومسح المدن بصورة كاملة من الوجود، خاصة تلك التي تدعم دولة الأمير .

وهكذا شرعت قوات الاحتلال في اقتحام المدن التي كان الأمير يسيطر عليها فسقطت الواحدة تلو الاخرى بدءا بمعسكر ثم تلمسان والمدية وتازة وبوغار ومليانة وبوسعادة.

---

1 - بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص208.

2 - محمد علي الصلابي، سلسلة كفاح الشعوب كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة بيروت لبنان، دت ص446.

3 - عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 -1900**، ط02، موفم للنشر ، 2010، ص74.

4 - عبد الحميد زوزو نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 -1900، ط02، موفم للنشر ، 2010، ص85.

ومنذ 1842 بدأ الأمير يشعر بانعدام الأمن فشرع في نقله عاصمته من مكان لآخر وصفها أحد المؤرخين مدينة من النسيج "الزمالة".

والزمالة هي مدينة عادية متنقلة بحكم عجز الأمير على الاستقرار في منطقة معينة معينة والدفاع عنها ضد الاحتلال الفرنسي، وتقوم الزمالة بمختلف الادوار والوظائف التي تقوم تقوم بها العواصم من وظائف ادارية وقضائية واجتماعية. ولم تكن سوى مدينة من الخيام مجهزة الخيام مجهزة بالمدافع ولا محاطة بالخنادق[1] التي تحميها.

في قرية قوجيلة نواحي بوغار تم اكتشاف الزمالة واغتنم الفرصة الفرنسيون بمساعدة بمساعدة فرقة خيالة محلية حيث لبس الجيش الفرنسي لباس جند الأمير ثم قاموا بالهجوم على بالهجوم على الزمالة وبمجرد أن رأى نسوة المخيم فرسان الخيالة قادمة حتى شرعوا في الزغاريد الزغاريد ظنا منهن أنها خيالة الأمير عبد القادر رجعت مظفرة بعد معارك وغزوات ناجحة، مما مما بعث الطمأنينة في صفوف الحراس ولم يجهزوا أنفسهم للدفاع وما هي إلا سويعات حتى قضي الأمر[2]..

وكان الهجوم على عاصمة الأمير المتقلة الزمالة بمثابة الضربة القاصمة والتي انتهت بتشتيت قيادته والقبض على أغلب أعوانه وقادته وأقارب عبد القادر ونوابه والعاملين في أسرته وضباط القوات النظامية فضلا عن الأسلحة والذخائر، ويعود الفضل في هذا النصر بالنسبة للفرنسيين لتلك المعلومات القيمة التي حصل عليها جيش الاحتلال وتفيد أن قادة الأمير وعائلته كانوا موجودين بالزمالة بينما كان الأمير غائبا، فسارع الفرنسيون لتطويق المكان ومفاجأة المحاصرين حيث تعالت صياح النساء "الرومي الرومي" "المسيحيون المسيحيون"3.

وبعد انتهاء الهجمة والقبض على كل من كان في الزمالة تبين أن أغلبهم من منطقة وهران معاونين وضباط وخدم الأمير ، فاتجهوا بهم نحو المدية ثم نحو مدينة الجزائر لتسليمهم للسلطة لمحاكمتهم أو لاستعمالهم بغرض التفاوض مع الأمير مستقبلا4.

1 - أ بن أشنهو الدولة الجزائرية في 1830مؤسساتها في عهد الأمير عبد الاقدر، ترجمة لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013 ص.ص. 107.109

2 - أ بن أشنهو الدولة الجزاءرية في 1830مؤسساتها في عهد الأمير عبد الاقدر، ترجمة لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013 ص180.

3 - Le duc d'Aumale, Notice sur l'expédition qui s'est terminée par la prise de la smahla d'Abd-el-Kader, le16 mai 1843, Vinchon imprimeur des musées royaux, p13

4 - opcit, p17.

لجأ الأمير بعد هذه النكبة إلى ملك المغرب المولى عبد الرحمن دون جدوى فقد تمكن الفرنسيون من تحييد المغرب بعد قنبلة طنجة وأسفي وأغادير فوقف دعمه للمقاومة ولما استنفذ الأمير فرصه قرر التوقف عن المقاومة في ديسمبر 1847.

ولقد ظلت مسالة تشتت المقاومة الوطنية غداة الاحتلال الفرنسي تشكل للمؤرخين والباحثين في هذا المجال، ووقع التساؤل حول أسباب عجز المقاومة في إيجاد التنسيق بين بايلك الشرق الذي تزعم المقاومة فيه أحمد باي ومجموعته وبين بايلك والوسط الذي قاد مقاومته الأمير عبد القادر؟؟ وقد كان من نتائج غياب التنسيق وتوحيد المقاومة القضاء على كلتا الزعامتين وتبديد مقدراتهما وتفكيك بنية المجتمع الجزائري عليه واخضاعه للاستيطان الشامل الذي سارت فيه فرنسا الاستعمارية خاصة بعد الالحاق النهائي الذي صدر سنة 1834، ويرجع الكثير من المؤرخين فشل التنسيق الأمير عبد القادر إلى تباين التكوين الديني والسياسي والفكري بين الرجلين، فالأمير عبد الأصول الجزائري ينتمي إلى قبيلة هاشم بسهول غريس وهو ضارب في التاريخ وعميق في للهوية العربية الجزائرية،

بينما كان أحمد باي 1786-1850 كرغليا وهو أحمد بن محمد الشريف بن أحمد القلي جده الذي تولى قيادة حامية القل زمن حكم حسن باي وأمه هي الحاجّة شريفة جزائرية من عائلة ابن قانة شيوخ الصحراء مات والده في سنّ مبكرة، فتولت أمه تربيته عند أخواله في الزيبان، فحفظ القرآن الكريم واللغة العربية، وأخذ من أخلاق أهل البادية في الصحراء من نبل وشجاعة وكرم وإباء.

وكان أول منصب حظي به أحمد باي هو قائد قبائل العواسي، والعواسي تطلق على مجموعة القبائل التي تقطن منطقة عين البيضاء مما يدل على قوته وتمكنه من فهم طبيعة العلاقات القبلية والعوامل المتحكمة فيها. ثم ترقى إلى منصب خليفة في فترة حكم الباي أحمد المملوك، ثم بداية حكم الباي إبراهيم الذي سرعان ما نشأت معه خلافات عامة فقام الباي بعزله وتهديده مما اضطره للالتحاق بمدينة الجزائر، بعدما دبر له إبراهيم باي مؤامرة تتهمه بالتنسيق والولاء لباي تونس. لكن الداي حسين استطاع كشف حقيقة المؤامرة وقام بقتل ابراهيم باي سنة 1822، وأبعد أحمد باي إلى البليدة وكان من حسن حظه تزامن مكوثه فيها مع حدوث زلزال كبير لعب فيه أحمد باي أدوارا كبيرة في الانقاذ فنال بذلك احترام وانتباه يحي أغا قائد الجيش الانكشاري فاقترحه ليكون بايا على قسنطينة في سنة 1826.

ويعد بايلك الشرق أكبر البايلكات من حيث الامتداد الجغرافي وحجم الثروات وعدد السكان، تداول على حكمه قرابة الأربعين بايا منهم ولاة أقوياء وآخرين ضعاف، وكان

مقر إدارة البايلك منذ تأسيس الحكم التركي به في مدينة قسنطينة، التي طالما تغنى بها الشعراء والأدباء والرحالة، وكان سكانها رغم الخليط القبلي المهمين عليها من الضواحي يمتازون عن غيرهم من سكان الحواضر الأخرى بالحرص على طلب العلم والفقه وحفظ تاريخ المدينة وتبليغه للأجيال اللاحقة[1]. وقد عرف البايلك في عهده استقرارا كبيرا حيث استطاع بذكائه وفطنته توحيد القبائل وإدخالها في طاعته بمختلف الأساليب السياسية والعسكرية والمصاهرة[2].

و.كان أحمد باي يؤمن بفكرة التبعية للسلطنة العثمانية فبعدما حاول منع كارثة الاحتلال الفرنسي للجزائر دخل احمد باي في مراسلات مع السلطنة في الباب العالي وكان يطمع في ان تضفي عليه بلقب الباشوية ليخلف الداي حسين الذي استسلم للفرنسيين دون أدنى تفكير في العواقب السياسية والانعكاسات المرتقبة، ولم يفكر احمد باي في الاستقلال ببايلك الشرق رغم انه كان بامكانه فعل ذلك. واتسمت سياسته بعد 1830 بـ:

رفض الإغراءات والعروض التي قدمتها له فرنسا قصد استمالته قاد معركة قسنطينة الأولى و معركة قسنطينة الثانية أكتوبر1837.

تحريض القبائل على المقاومة حتى سلم نفسه في 5 جوان 1848 فأحيل إلى الإقامة الجبرية في العاصمة.

مرجع سلطته استشارة ديوانه المكون من الأعيان والشيوخ.

مراسلة السلطان العثماني.

محاصرة القوات الفرنسية داخل المدن الساحلية المحتلة مثل عنابة.

وامام عجز الاحتلال في السيطرة على قسنطينة في 1836 سار في سياسة تركيز القوات الفرنسية في جبهة واحدة، بعد أن تلقّت ضربات موجعة على يد الأمير عبد القادر، وفشلها في محاولتها الأولى لاحتلال قسنطينة في نوفمبر 1836، فعقد الفرنسيون معاهدة التافنة ،لتتفرغ إلى الجهة الشرقية وهو ما نجحت في تحقيقه في 13 أوكتوبر1837..

1 - Le Roy. **État général et particulier du royaume et de la ville d'Alger, de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer** .. 1750 p42.

2 - Jean-Pierre Bonnafont, **Réflexions sur l'Algérie,** particulièrement sur la province de Constantine : sur l'origine de cette ville et les beys qui y ont régné depuis l'an de l'égire 1133 (1710) jusqu'en 1253 (1837) /. 1846

وقد اختلف المؤرخون في شخص أحمد باي الذي فشل في تحويل ميراث الإيالة نحو شخصه، بعد سقوط الجزائر في 1830، برغم كل وسائل الاستعطاف، والوساطات التي استخدمها عند زعماء الباب العالي[1].

ويؤكد عبد الجليل التميمي في دراسته المعروفة حول شخصية الحاج أحمد باي حكم من 1826 إلى 1837، أنَّ الرجل قد رفض قطعيا التفاوض أو التراضي مع الاحتلال وفي نفس الوقت اتبع تعاليم الدين الإسلامي بحذافيرها2، لكن الزمن لم يكن في صالحه فضلا عما آلت إليه أوضاع الإيالة بعد استسلام الداي حسين، وضعف استجابة السلطان العثماني محمود الثاني لطلبه في تولي شؤون الإيالة.

4. انتهاء مقاومة الأمير و انعكاساتها:

كانت السياسة الفرنسية التي وضعتها لمجابهة الأمير عبد القادر سياسة حقيرة تستطع مجابهته في الميدان في حرب شريفة ينهزم فيها الأقل جرأة وجاهزية لجأت إلى ضرب دولته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية واتباع سياسة فرق تسد بواسطة إنشاء العربية التي كلفت بمتابعة عمليات الاحتلال والتقرب من شيوخ القبائل ورشوتهم بالمناصب والامتيازات ومراقبة تحركات الأمير عبد القادر والقبائل الخاضعة له، وكان احتلال تيارت يمثل نقطة تحول هام للسياسة الفرنسية مكنها من التحكم أكثر في ميدان المعركة3.

حيث اكتسبت سلطة الاحتلال الكثير من النفوذ في المناطق الداخلية، وعزلت الثورات الشعبية المختلفة، ومع مرور الوقت ساءت أوضاع الجزائريين وتشتتت همومهم بين الانخراط في المقاومات الشعبية التي بدأت تنحسر شيئا فشيئا بسبب سياسة العنف

---

1 - عبد الجليل التميمي، " الحاج أحمد باي وبايلك قسنطينة 1830/ 1837"، في **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد 64 ، 1978 ، ص 21 .

2 - كتب "أوجان بيقوني" E.Bigonet في المجلة الإفريقية لسنة 1899 أن "أحمد باي" كان متمسكا بأنبل الأخلاق الإسلامية حتى في فترة الحرب، ففي الحراسة ينقل عن أحمد باي توصيته لجنوده: "ابذلوا جهدكم فلكم بكل لحظة حسنة وثوابا وهذا الأمر هو أعظم الأمور عزما وحزما، فلتكونوا أهل يقظة وفطنة والله في عونكم، وأما النصارى الفرانسيس الذين في عنابة فإياكم ثم إياكم أن يتعدى عليهم أحد أو يظلمهم أو يضيع لهم شيئا من مالهم فإن أرادوا المقام في عنابة فعليهم أمان الله ولا ينالهم مكروه، وإن أرادوا الانتقال إلى بلادهم برضاهم وطواعية فلا يمنعهم أحد ولا يتعدى عليهم وليأخذوا مالهم وأمتعتهم عن آخرها.

3 شارل أندري جوليان، **تاريخ الجزائر المعاصر، الغزو وبدايات الاستعمار، 9219_9281**، المجلد الاول، ج 9، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، ط 8194، ص ص 44-443

المتبعة من طرف جيش الاحتلال الفرنسي وبين الهجرة والنزوح عن المناطق التي نشئوا وترعرعوا فيها طويلا.

وبعدما سدت الأبواب في وجهه وقل الدعم والنصرة في الداخل وعند الجيران جمع الأمير الأمير من بقي معه من الجيش والأنصار والأتباع وألقى فيهم خطبة قالها فيها :" صدقوني المقاومة المقاومة انتهت فلنعترف بذلك والله يشهد أننا حاربنا طالما كان ذلك في استطاعتنا، لقد حكم حكم الله أن تكون هذه الأرض للمسيحيين وماذا استطيع أن أفعل أكثر مما فعلت هل في استطاعتي أن أستئنف الحرب ؟ إنني سأهزم وسيتعرض العرب إلى المزيد من الآلام1" .، وقد حاول رفاقه إقناعه بضرورة المواصلة حتى لا يبقى منهم أحدج دفاعا عن الأرض والعرض، لكنه رفض وفضل انهاء الثورة والسعي للتفاوض مع الجيش الفرنسي وأن يقدم له ضمانات الأمن والسلم والحماية لأتباعه ورفاقه وأفراد جيشه، خاصة وأنه لم يمسك أسيرا في الحرب وإنما سوف يتقدم بنفسه وبحرية إرادته نحو تسليم نفسه.

في صباح التسليم عقد دوماس للأمير استعراضا عسكريا ووقف الأمير على حصانه أمام حصانه أمام ثم ترجل وسلم على الدوق دومال ثم قال له :" انني اقدم لك هذا الحصان هدية وهو هدية وهو اخر حصان امتطيته لقد كان جوادي المفضل لكننا اليوم يجب ان نفترق انه عنوان عنوان اعترافي واني أرجو دائما ان يحملك إلى النجاة والسعادة" فرد عليه الدوق :" انني اقبله باعتباره اكراما لفرنسا البلد الذي ستمتد حمايته اليك منذ الان وعلامة على ان الماضي قد نسي[2]"

.ولكم كانت فرحة القائد الفرنسي لامورسيار وهو يقرأ خطاب الأمير له بانهاء الحرب وبحث شروط التسليم[3]، .

5. مراسلات الأمير عبد القادر مع قادة الاحتلال.

كتب الأمير عبد القادر رسالة بطلب من الجمعية التاريخية الأسيوية بباريس سنة 1855 بعنوان "رسالة إلى الفرنسيين" وعنونها الأمير عبد القادر بـ"ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"[4] وضمت الرسالة عدة أبواب وعناصر فرعية، قام بتقديمها وتصفيفها الأستاذ عمار طالبي، وجاءت في 85 صفحة ومن أبرز الفصول التي ذكرها الكاتب:

فضل العلم والعلماء

1 - تشارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، دت.. 246

2 - المرجع نفسه ص 259.

3 - المرجع نفسه ص 247.

4 - عمار طالبي، رسالة إلى الفرنسيين، منشورات أناب، 1966.

في اثبات النبوة واحتياج العقلاء إلى علوم الانبياء الرد على من ينكرون النبوة السعي لإثبات القدرة الالاهية والدينية من بعثة الرسل الدين واحد عند الانبياء انما الاختلاف في التفريعات[1].

سياق ادلة الإيمان بالله والآخرة والبعث والحساب.

إثبات العلم الشرعي

فضل الكتابة وهي هامة وغاية العقل التي انزل الله بهها للناس الدين وقد صنف مجموعة من الكتابات واللغات في العالم في الفارسية الحميرية العربية اليونانية السريانية العبرانية الروسية البربرية الأندلسية الهندية والصينية وقد بسط الأمير في تاريخ هذه بلغته الان وما اندثر منها[2] 55.

وساق شعرا لاهمية الحديث ولا فضل بين القديم والحديث

قل لمن يرى المعاصر شيئا ويرى للاوائل التقديم

ان ذاك القديم كان حديثا وسيبقى هذا الحديث قديما[3]

علماء الآمة قديما لم يشتغلوا بالتصنيف واعتمدوا على الحفظ حتى لا يصيروا عبيدا للكتاب فيتلف علمهم بتلف الكتاب وحجتهم ان الكتاب يويد وينقص لكن العلم عند الناس محفوظ إلى آخر الأزمان.

وختم الرسالة بانقسام الناس بحسب العلوم والمعارف واختلاف المذاهب وبين ان لكل الأمم والشعوب كتب تجلها وتقدمها من العرب والفرس واليونان والهنود[4].

وضمت الرسالة إشارات أراد من خلالها الأمير ابراز فضائل الإسلام وتقديمه بالحجج العقلية والمنطقية للغرب ولم تتضمن الرسالة أي إشارة لجوانب حياة الأمير عبد القادر سواء السياسية أو الفكرية.

ويبدو من خلال قراءة أولية لهذه الرسالة قدرة الأمير في تقديم أفكاره واضحة ومستدل بها من مختلف الشواهد التاريخية والعلمية والدينية والفلسفية التي يحتاجها في معرض حديثه، وللعلم فإن هذه الرسالة تقع منها نسخة واحدة مطبوعة سنة 1966. ونسخة ثانية في مكتبة الشيخ عبد القادر المجاوي. ونسخة ثالثة بالمكتبة الوطنية بباريس.

6. معالم الفكر السياسي للأمير.

1 - عمار طالبي، المرجع نفسه ص48.

2 - عمار طالبي، المرجع نفسه ،. ص55

3 - عمار طالبي، المرجع نفسه. ص59.

4 - عمار طالبي، المرجع نفسه. ص80.

بعد تسليمه للفرنسيين واتصاله بهم وانتقاله إلى فرنسيا يبدو أن الأمير عبد القادر قد وقف على حقيقة الدولة الفرنسية ومظاهر قوتها الحضارية المتعددة الأوجه فلم تكن دولة عسكرية وان كان جيشها لا يقهر ولم تكن دولة اهتمت بالعلوم والعمران والنقل وكل مظاهر التمدن وان كان كل ذلك فيها راقيا متميزا أذهل زوارها واصابهم بالرهبة والافتتان.

يتجلى معالم الفكر السياسي الجديد للأمير من خلال مواقفه ومراسلاته ومعايشته لأحداث تاريخية كبيرة وما صدر منه تجاهها ومنها:

الموقف من قيم الدولة الفرنسية:

لقد كانت أخبار استسلام الأمير عبد القادر بمثابة عرس حقيقي عاشته فرنسا بعد زوال شبح المقاومة التي قادها الأمير طيلة 17 سنة كاملة، لكنها لم تؤثر في شخصه أو تنال من إصراره على مواصلة الطريق الجديد الذي ارتسمت معالمه في ذهنه، حيث كتبت جريدة لومونيتور الفرنسية في افتتاحيتها :" ان إخضاع الأمير يعد حدثا بارزا في حد ذاته انه خبر يحقق الطمانينة والسلام والأمن ويدعونا لان ننقص من نفقات الحرب ونقلص من عدد جنودنا الذين نرسلهم إلى هناك للقتال"[1]

وقد كانت رحلة الأمير في الانتقال عبر الدولة الفرنساوية من بدء تسليم أسلحته واقتياده إلى المنفى رحلة متعبة رغم أنه كان يلقى المعاملة التي تليق به كزعيم وطني وقائد ثوري قدم لوطنه الكثير . وقد تباينت معاملته من شخص لآخر حيث لم يكن قادة الاحتلال على قلب رجل واحد في ما يتعلق بطبيعة المعاملة مع الأمير ولا بالشروط التي اتفق عليها الطرفان في ديسمبر 1847 وتقديم ضمانات للأمير وأفراد أسرته ومقاتليه. .

ولذلك كان الأمير في مستوى ما يليق به كرجل سياسي في التعامل مع هذا الطارئ المتغير الذي فقد فيه حريته وقيادته لمجموع الجنود والقبائل خلال مقاومته، وكان دوما يقول للقادة الاحتلال الذين يتولون الإشراف عليه :" لقد طلبتم مني التوقيع على وثائق في مقابل منحي حريتي وان كثيرا من أهلي بيتي وأصدقائي في هم كبير بعدما قررت بمفردي ان أوقف القتال والحرب فلا يجب على الحكومة الفرنسية ان تخذلني ومنها إنني وقعت باني لن أقوم من اليوم باي عمل ونشاط ضد فرنسا وأعطيت وعد الشرف على ذلك"[2].

ومن خلال ذلك يبدو جليا أن الأمير يدرك مدى الإرباك الذي يحدثه هذا الخطاب من وقع في ذهن سجانيه، ولم يكن سوى خطابا مستلا من القيم التي يزعمون حملها ونشرها والدفاع عنها.

وقد استبشر الأمير عبد القادر بسقوط حكومة الملكية بعد ثورة 1848 وقيام الجمهورية الثانية وقد علق على هذا الحدث وراى ان الجمهورية هي اضمن للحريات وللحقوق العامة للناس

1 - تشرشل هنري المرجع السابق، 254

2 - تشرشل هنري المرجع السابق، 254

ومنع الاستبداد وقهر الضعفاء، ثم يقول :" انه ليس فيكم اليوم من يستطيع ان ينكر دوري الذي قمت به في الدفاع عن وطني وديني وعندما غلبت على أمري وأدركت ان الله قد سحب مني تأييده قررت ان انسحب من الدنيا وكان أملي ان أجد ملجأ مع الراحة"[1].

الانفتاح على الحضارة الغربية ومنجزاتها:

سجل الأمير بدون إخفاء إعجابه بما وصلته المدنية الغربية من قيم ومنجزات في مجال الإنسان والطبيعة والعمران وآلات العمل والحرب ووسائل التثقيف والتعليم، وقد أحس بهذا العمق كل الذين اقتربوا من الأمير في منفاه أو في سجنه قبل ذلك، ومن ذلك انطباعات الناس حوله خاصة الوفود التي زارته بإقامته في باريس منهم الأسقف ديبيش الذي زار الأمير في منفاه، وكان قبل ذلك كتب له مرافقه الجنرال دوماس يقول:" انك ستقابل سجين لن تندم على مقابلته، إنك عرفت الأمير حينما كانت الجزائر كلها تحت طاعته في أيام عزه، وستجده أعظم رجل كما عرف عنه مازال يسمو إلى أعلى الدرجات بسيطا جذابا متواضعا ثابتا لا يشكو أبدا"[2]..

وفي إقامته زاره عشرات الاشخاص والضيوف من مختلف فئات المجتمع وكان الزيارات لا تنقطع حتى من السيدات حيث استقبلهن ومنحنه باقة من الورود. مما شكل في أذهان زواره صورة إخرى غير صورة ذلك المقاوم الشرس القادم من غياهب الصحراء وقفار الجبال يقاتل الجيش الفرنسي المتحضر حسب ما يعتقدون.

وكان وجوده في باريس تزامن مع انتصار دول الحلفاء المتشكلة من فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية ضد روسيا في حرب القرم وافتكاك مدينة سيباستيبول[3] وأقام الفرنسيون احتفالا كبيرا في كنيسة نوتردام باريس واستدعي الأمير لحضوره فحضره دون تردد وبلباسه العربي التاريخي لفت الانتباه لأغلب الحاضرين الذين رأوه لأول مرة، ووقفوا عند الزعيم الوطني الذي أذاق فرنسا العديد من الهزائم [4]، وأتعبهم كثيرا حتى بسطوا نفوذهم على القطر الجزائري.

كما ساهم الأمير في حضور حفل تدشين قناة السويس سنة 1869 بحضور زعماء ووجهاء العالم آنذاك يتقدمهم الخديوي سعيد باشا والأمبراطورة أوجيني زوجة نابليون

1 - تشرشل هنري المرجع السابق، 254

2 - تشرشل هنري المرجع السابق، 254

[3] - مدينة سيباستيبول مدينة هامة تقع على امتداد لسان قاري داخل البحر الأسود. وموقعها استراتيجي هام.

4 - تشرشل هنري المرجع السابق276.

الثالث وسفراء دول العالم المتحضر مثل فرنسا بريطانيا روسيا ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية.

وكان يقول مثلما ذكر تشرشل صاحب ترجمته "إنني لم أولد لأكون محاربا لكن الظروف ساقتني لهذا المصير".

ومما تعرض له الأمير عند وصوله للسلطنة العثمانية كما يذكر تشرشل أنه حينما وصل حينما وصل بروسا في طريقه للشام أمر والي المدينة احد الأتراك بان يضع تحت تصرفه عربة؟؟ عربة؟؟ فاندهش حمال العربة وقال كيف لعربي ان يركب عربة ؟؟ كان جديرا به ان يركب حمارا حمارا او ناقة تليق به[1].

رسائله إلى السلطان العثماني:

بعد سقوط قسنطينة وتشتت المقاومة في بايلك الشرق بعد نزول أحمد باي إلى الصحراء مع صهره بوعزيز بن قانة، اشتعلت الصراعات والحروب والاقتتال بين مختلف الأطراف لبسط النفوذ على إقليم قسنطينة خاصة بين فرحات بن سعيد[2] الذي اتصل بالفرنسيين يعرض عليهم خدماته مقابل تثبيته في منصب شيخ العرب دون أن يتلقى ردا مقنعا، وبين أنصار الأمير عبد القادر وخليفته في المنطقة رغم أن الأمير قد عهد بمنطقة الجنوب وبسكرة لفرحات بن سعيد الذي لم يكن همه سوى السلطة ومنافسة بن قانة.

وكان فرحات بن سعيد يكتب باستمرار الى الحاكم العام يدعوه لاحتلال المدينة وكسر شوكة أحمد باي، ومما جاء في أحد رسائله إليه و المؤرخة في 10 جوان 1836 : " أين الوعود التي قطعتها الإدارة الفرنسية لإحتلال مدينة قسنطينة ؟ لماذا هاذا التأخر ؟ إن الوقت قد حان للانتقام من الحاج أحمد باي".

---

1 - تشرشل هنري المرجع السابق، 254

2 - فرحات بن سعيد هو آخر شيوخ العرب من أسرة بوعكاز الذواودة، تحدث عنه القبطان سيروكا في تاريخه لجنوب قسنطينة بكثير من الإعجاب والمدح والإطراء ومما قال فيه أنه كان رجل حرب شهم وكريم، بسيط ومؤمن، وَيُذَكِّرُ-حَسْبَ سيروكا- برجال الإسلام الأوائل، لكنّه في مقابل ذلك كان مضطرب الذّهن لا يملك الصّبر الكافي وطول النّفس لإدراك غاية كبرى وتحصيلها، وليس ذلك لشجاعة تنقصه أو لهمّة يفتقدها.

فرغم قصر جسمه كان يبدو رجلا عظيما، وغير عادي حينما يكون ممتطيا جوادَهُ، وكان على درجة كبيرة من الكراهية لبن قانة حتىّ أنّه إذا قيل له أنّ بن قانة يلبسون ثيّاباً جميلةً2، كان يجيب : " أَنّ اللّبَاسَ الجَمِيلَ للنِّسَاءِ أَمَّا جَمَالُ الرّجل فَفِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ"2.

وقد بالغ أنصار فرحات بن سعيد في الإعتداد به ووصفه بأوصاف خيالية وغير عادية،كقولهم أنّه لا يصاب في المعارك كما يصاب غيره بالبارود والرّصاص، ويزعمون أن أَحَدَ " الْمُرَابْطِينْ " من منطقة جرجرة، منحه طَلاَسِمًا يجعله لا يتأثّرُ بالبارود، والرّصاص لايخترقُ جِسْمَهُ، وعندما تنتهي المعركة يَضَعُ سلاحهُ ثُمَّ يَفُكُّ رِبَاطَ وَسَطِهِ فَتَسْقُطُ الرصاصاتُ بين أقدامه2؟ **Op**, Joseph-Adrien Seroka .. p381 , **cit**

بعد سقوط قسنطينة راسل أحمد باي الباب العالي في 15 أوكتوبر1837 يخبر السلطان بسقوط المدينة، ويطلب المعونةَ والمدَدَ وإذا لم يصله ذلك في الوقت المناسب، فإنه يدعو السلطان ويلتمسُ منه الإذنَ بالانسحاب إلى ديار المسلمين، وكتب له رسالة أخرى، لكن السلطانَ لم يكن موقفه حازما فاكتفى بإرسال أمر لباي تونس لمساعدة أحمد باي، لكن دون تفصيل للكيفيات[1].

وكانت الرغبة المشتركة بين الأمير عبد القادر وأحمد باي في التواصل مع أجل تقديم الدعم للجزائريين والاعتراف بشرعية الرجلين لتولي شؤونهم، والاستمرار في الارتباط بالدولة العثمانية التي تمثل رمز الوحدة الروحية والسياسية للمسلمين، التي تنعم شعوب المنطقة بالأمن الكافي، وكان أحمد بإمكانه أن يتحالف مع الأمير عبد القادر لكن الشواهد التاريخية لا تتحدث كثيرا في الموضوع، سوى أنه رفض لأنه يرى في نفسه سلالة الأمراء والنبلاء[2]، وفي المقابل قام الأمير عبد القادر بمراسلة سكان قسنطينة يخبرهم بأنه أبرم صلحا مع الفرنسيين الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد، وعليه فإنّه يطلبُ منهم أن يتخلّصوا من سلطان أحمد باي ويدخلوا في طاعته، وإنْ لم يفعلوا ذلك فإنه سَيُثيرُ عليهم الفرنسيين وفي وقت وجيز ستسحقكم قوات الأمير وقاتهم[3].

ولم تلق هذه الدعوة استجابة من عند أحد باستثناء فرحات بن سعيد الذي كان يعمل على استثمار مثل هذه الفرص في دعم مكانته ضد بوعزيز بن قانة، وكان الأمير يدرك جيدا تلاعبات فرحات بن سعيد حيث كان يترقب هذا المنصب للانتقام فقط من احمد باي وبن قانة، ولما علم بتعيين الحسن بن عزوز[4] خليفة على بسكرة وواحة الزعاطشة والزيبان[5]، غضب وجُنَّ جُنُونُهُ، فاتصل مجددا بالفرنسيين وأعلن الثورة ضد

1 - أرجموند كوارن، **المرجع السابق**، ص73.

2 - Charles-André Julien , **op.cit**, p 148.

3 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص 80.

4 - ينتمي الحسن بن عزوز إلى أسرة عريقة هي أسرة "بن عزوز" في الزيبان قرب طولقة، كان ينتمى إلى الطريقة الرحمانية وعمل كاتبا لدى فرحات بن سعيد، عينه الأمير عبد القادر خليفة له مكان فرحات بن سعيد اعتقل سنة 1841، من طرف قوات الإحتلال الفرنسي. انظر مياسي إبراهيم : " خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان" في **مجلة الخلدونية**، بسكرة، ديسمبر 2004، العدد 03، ص 70.

5 - يحي بوعزيز : " جهود الأمير عبد القادر في دعم الجبهة الشرقية "، **المقال السابق** ص 10.

المسؤول الجديد للزاب[1]، ثم رأى الأمير عبد القادر أن يعينه على رأس إيالة بسكرة واشترط عليه الأمن والطمأنينة[2].

وراسل الأمير عبد القادر السلطان محمود العثماني رسالة طويلة شرح فيها الوضع الوضع السياسي الذي آلت إليه إيالة الجزائر في ظل نواب السلطان من الأتراك والكراغلة، قائلا : والكراغلة، قائلا : إلى سلطان سلاطين الإسلام وحامي بيضة أمة محمد عليه الصلاة والسلام[3] ، إن الينيشارية الذين كانوا في الجزائر حينما خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين عاقبهم الله بسوء فعلهم فسلط عليهم عدو غشوم كافر فبدد شملهم واجتث أصلهم[4]، ونحن أسلمنا إخواننا المسلمون وتركونا لعدو كافر ومنعونا من شراء المؤن ورفضوا تسليمنا بالجنود لكي نحارب فطلبنا منهم السلف فرفضوا كأن المسلمين ليسوا بجسد واحد، والمسلمون اليوم ليس لهم ملجأ إلا أنت، ومحال ان يرجع كتابهم إليك صفر اليدين فانك الغيث المدرار والبحر الزخار وانأ من عيالك والله سائلك عنا[5]، إنا ترانا نكرر المكاتب للحضرة العلية حتى نظفر منها بما يريح الخاطر ويذهب الهم وقد كنا نبعث هدية مع من يحمل الرسالة لكن الحرب منعتنا[6] من عبد الله ومقبل ترب أعتابكم المستعطف لرحماكم الراجي فضلكم وقضاكم خادم حضرتكم وخادم المجاهدين عبد القادر بن القادر بن محي الدين"[7]

قام الأمير عبد القادر وهو في الشام بأدوار كبيرة تجاه القضايا الإنسانية بما استجمع لديه من أفكار ومعتقدات ومن أكبر الأدوار التي قام بها الأمير توسطه في إطفاء نار الحرب والفتنة التي أشعلها الأتراك حسب تشرشل في منطقة الشام بين النصارى والمسلمين ، حيث سعوا إلى خلق الفتنة بين أتباع الديانتين، ويبدو أن السبب يعود إلى رغبتهم في إضعاف خصومهم من سكان المنطقة في هذه الفترة، وبدأت الفتنة في جويلية 1860 بدمشق وكانت بسبب اندلاع الصراع بين

1 - أديب حرب، **المرجع السابق**، ص 24.

2 - ابراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص 109.

3 - تشرشل هنري المرجع السابق307.

4 - تشرشل هنري المرجع السابق307.

5 - تشرشل هنري المرجع السابق ص312..

6 - تشرشل هنري المرجع السابق، 313

7 كتبها الأمير ووقعها في رباط مستغانم سنة 1257هـ الموافقة لسنتي 1841-1842م.

طائفة الدروز[1] وطائفة المارونيين[2] في جبل لبنان، وتتجلى حينما سحب الوالي العام التركي جنوده لحماية المسيحيين ووقوع الكارثة[3]، التي أدت إلى حدوث غليان الناس ضدهم والدعوة للانتقام منهم وتصفيتهم وقتل الدروز نحو 3000 من مسيحي الشام ظلما وعدوانا.

وقد اتصل الأمير بالسفارة الفرنسية وسفارات الدول الأجنبية الأخرى من أجل بخطورة الوضع وضرورة التحرك لإنقاذ الموقف، وقد قضى الأمير عبد القادر نحو 10 يناضل من أجل وأد الفتنة والصلح بين الأطراف المختلفة[4]، وتقديم الحماية للمسيحيين، والتخفيف من غضب السكان وقد تمكن الأمير بفضل ذلك من إنقاذ نحو 15 ألف الموت المحقق من نصارى الشام، بعدما آواهم في القلعة التي كان يقيم بها وأبى استباحة من طرف المسلمين بعد فتنة أثارها الترك في تلك الجهات[5] كما ذكرنا.

وقد نال الأمير إزاء هذا العمل البطولي الشهم إعجاب مختلف دول العالم وقادة المسيحي حيث انهالوا عليه بالشكر والتقدير، ومنها قيام الحكومة الفرنسية بمضاعفة السنوي إلى 15 ألف فرنك فرنسي ومنحته ميدالية شرفية تقديرا له من صنف "محارب جوقة الشرف"[6] وتلقى من الحكومة اليونانية أيضا وسام الشرف من رتبة "منقذ" ومن السلطان عبد المجيد الأول 1839-1861، وتلقى تقديرا وشهادة من بابا الكنيسة الرومانية بيوس التاسع كما منحه الرئيس الأمريكي أبرهام لينكولن مسدسين مطرزين بالذهب

[1]- الدروز طائفة دينية باطنية تسكن بالشام وتتلقى تعاليمها من الفكر الباطني وبالتحديد من طائفو الاسماعيلية، ويطلق الدروز على انفسهم تسمية الموحدين او اهل التوحيد ويؤمن الدروز بالتجلي الالاهي في الخلق ويقولون بتناسخ الأرواح ورجوع الروح بعد الموت في كائنات أخرى، ويؤمن الدروز بسبعة أنبياء ابتعثهم الله لهداية البشر لطريق الخير، وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى ويسوع والنبي محمد ومحمد بن اسماعيل.، وللدروز عقائد مختلفة كثيرا عن عقائد أهل السنة والجماعة منها ما يتصل بالعقائد والعبادات وأركان الدين وعدم صيام شهر رمضان عند الدروز أهم فارق بينهم وبين المسلمين، لذلك يعدهم البعض من الفرق الضالة.للمزيد انظر، محمد حسين فضل الله، الموحدون الدروز في الإسلام، الدار الإسلامية للنشر بيروت لبنان، ومحمد حسين كامل، طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، دار المعارف بمصر، 1962،

[2] - مارون عيسى الخوري، في اليقظة العربية،

3 - تشرشل هنري المرجع السابق، 283

4 - تشرشل هنري المرجع السابق،285

5 - تشرشل هنري المرجع السابق، 286.

6 - la grand- croix de la légion d'honneur

وقدمت له بريطانيا بندقية رمزا لنبل أعماله، ولا تزال هذه الهدايا الرمزية الثمينة إلى اليوم ضمن المعروضات التاريخية بالمتحف الوطني بالجزائر.

وفي عام 1865، زار باريس بدعوة من نابليون الثالث، واستقبل باحترام رسمي وشعبي.

تمت دعوته لحضور افتتاح قناة السويس في 17 نوفمبر 1869، بسبب علاقاته مع نائب الملك في مصر، إسماعيل باشا، ولكن أيضًا مع فرديناند ديليسبس، الذي كان على الجانب الشرقي أحد زعمائه. الدعم الأكثر نشاطًا ودائمًا

تقدير السلطان العثماني عبد المجيد الأول للأمير عبد القادر [1]:

وقد تلقى الأمير عبد القادر سنة 1860 رسالة من السلطان العثماني عبد المجيد الأول تضمنت جملة من المعاني القوية والجليلة التي وصف بها السلطان الأمير عبد القادر حيث نوه به وبمواقفه الجهادية واعتبره حامي حمى العروبة والإسلام ومما ذكره السلطان في نص هذه الرسالة

خادم الإنسانية، صاحب سيف و قلم، مجاهد شهير الأمير عبد القادر الحسني الجزائري فليس يريك الرسم صورتنا العظمى له همة تعلو بأخمصها الأنجم و لكنه بالعقل و الخلق الأسمى فتلك التي لا يبتغى بعدها نغمى أمير شمال إفريقيا و مدافع عن الأمة العربية.

الأمير عبد القادر رمز في الأزمنة المتقدمة و المتأخرة عند الأمم التي تعاني ظلمات القهر والاستبداد، وهو من أولائك الذين يتوقون لنور الحرية بفيض وسعادة و من يتخلص من الظلم و التعدي أو يحاول ذلك ينقش و يخلد اسمه العظيم في صحائف قلوب كل الأمم .

السعادة في سبيل تخليص وطننا من كل أشكال الظلم و المظالم و إيصاله إلى نقطة الكمال و يجب حضور همم عليا و لشبان الوطن إلى الحرية، يترتب علينا شكرهم و الثناء عليهم؛ و لهذا نقوم ببيانهم و عرضهم .

وفي أزمنة متأخرة أضاء نور من الغرب يتألق بالحرية و كان الشرق في الحرب و بعض جهات الغرب تحت سحب كثيفة من الظلم و الاستبداد جعلتها ذليلة يائسة " .و قد قال أحد مشاهير فرنسا " مارشال سولت" سنة 1840 لأحد المقربين إليه أنه هناك ثلاثة رجال في الزمن الحاضر من يليق بهم لقب " أكبر" و ثلاثتهم من المسلمين. أولهم الجزائري "الأمير عبد القادر" و الثاني المصري "محمد علي باشا" و ثالثهم الداغستاني الشيخ شمويل".

1 - وجدت نسخة من هذه الوثيقة الهامة في مكتبة السليمانية باستنبول مكتوبة باللغة التركية القديمة " العثمانية".

الأول صاحب سيف و سياسة و الثاني من أصحاب السياسة فقط، والثالث من أرباب السيف و الشجاعة فبعد محاربة طويلة مع الدولة الروسية سقط بين يدي لعدو و بعد مدة من الأسر أطلق سراحه و اتجه إلى الحجاز و توفي في المدينة المنورة. رحمة الله عليهم جميعا.

وقد أورد السلطان بعد ذلك مجريات المقاومة التي قادها الأمير بالتفصيل والمعارك التي خاضها وسياسة الفرنسيين في مجابهتها بالدقة المتناهية تقريبا وهو ما يدل على متابعة السلطنة شؤون المقاومة واطلاعها عليها.

صاحب الترجمة الأمير عبد القادر من المجاهدين عن الإسلام و من أعظم المحاربين و أصحاب القلم و العرفان و الكمال نسبه العالي كالآتي: عبد القادر بن محي الدين ابن مصطفى بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن حسن السبط بن فاطمة الزهراء و ينتهي إلى خير الأنام عليه أفضل الصلاة و أكمل السلام .ولد سنة 1222 هجرية ببلدة " قيطنة" التي أسسها و أنشأها جده السيد مصطفى بن المختار بإيالة وهران الجزائرية. هو ثاني أولاد أبيه السيد محي الدين. وسبق لأحد أجداده العظام و هو "سيدي عبد القوي" الثالث أن يساعد خير الدين بربروس باشا على الاستيلاء على الجزائر. و أظهر والده السيد محي الدين احتراما فائقا للعثمانيين و قد كان على رأس الدولة الجزائرية. -

وكان محي الدين رجلا صالحا فبعد رحلة الحج سنة 1843 عاد مسرعا إلى وطنه فوجد إيالة وهران في حالة "فتور" فقام أهالي الضواحي بتكليفه الإمارة إلا أنه رفض و لكنه قبل بالجهاد سنة 1246 و دافع عن وطنه العزيز لمدة سنتين و داعيا في هذا الطريق و بعد أن أدى خدمات صادقة عظيمة و قدم نفسه و هن جسمه وضعف، رأى بطلب من الأهالي أن يترك الإمارة لابنه صاحب الترجمة الذي كان عمره آنذاك أربع و عشرون سنة و الذي عرف بفضائله و كرم أخلاقه و كان ذا ملكات عظيمة في ركوب الخيل و استعمال السلاح و فنونه الحربية و جسارته و شجاعته وذلك في رجب سنة 1248 حيث تم إعلاء مرتبته و أمره و تمت بيعته في بلدة "معسكر" واتخذها مقرا للإمارة فباشر منذ ذلك اليوم حمل لواء الحرية من جهة و سيف الجهاد و الجلاد من جهة أخرى و مستعينا بالله بالدفاع عن وطنه و محاربة الفرنسيين بثبات خالص. ووقع الأمير معاهدة مع الجنرال ميشيل حيث

تم تعيين "نهر الشلف" كخط حدودي بينهما ما ترك للأمير دولة مركزها معسكر و تمتد حتى مراكش[1]؟ ثم يواصل السلطان سرد الوقائع حتى نهاية المقاومة.

ومن خلال ذلك يتبين قيمة الأمير عبد القادر لدى البلاط العثماني، الذي كان آنذاك يعج بخمائر الثورة والإصلاح ورياح التغيير التي أثارتها فيه قوى الإستدمار الغربي خاصة فرنسا وبريطانيا والتي انتهت بإسقاط الخلافة العثمانية وتأسيس جمهورية تركيا الحديثة سنة 1923.

وتوفي الأمير عبد القادر في دمشق في 26 مايو 1883، ودُفن بالقرب من الصوفي الكبير ابن عربي في دمشق. وفي سنة 1965، نقل جثمانه إلى الجزائر وهو يرقد اليوم بمقبرة العالية بالجزائر العاصمة.

خاتمة:

ما تزال شخصية الأمير عبد القادر تستقطب الباحثين والمتهمين بدراسة تاريخ الجزائر خلال مرحلة حاسمة من مراحل التحول في تاريخها المعاصر، حيث شكلت هذه الشخصية نقطة التحول من المقاومة المسلحة والثورة المنظمة ضد الاحتلال والإستدمار الفرنسي البغيض إلى مرحلة المقاومة السياسية والتفاعل مع البيئة الحضارية والفكرية الجديدة الوافدة. فقد اتسمت الحركة الإستدمارية الفرنسية بالعنف والقسوة والوحشية وحملت معها بذور الفناء للشعب الجزائري الخارج لتوه من مرحلة الوجود العثماني الراكدة ليجد نفسه في مواجهة أعتى قوة استعمارية صليبية حاقدة، ولم يكن أمام الشعب الجزائري سوى المقاومة والثورة بكل ما يملك وما كان يملك إلا القليل.

لقد جسد الأمير عبد القادر رمزية القائد المحنك الذي حاول استثمار حجم النقمة والغضب الشعبي في وقف موجة التوغل الاستيطاني الغربي وما كان يحمله من مثل القتل والإبادة للمقاومين ومن قيم التشويه والتزوير للمستسلمين الخانعين.

وكان لزاما على الأمير رسم معالم طريق ثالث يستوعب العبر ويستخلص من الشواهد معاني المقاومة من أجل البقاء، بالحفاظ على رموز الشخصية الوطنية وعمقها التاريخي والهوية، وبالانفتاح على مظاهر القوة والتمدن والحداثة التي جاءت بها الحضارة الغربية.

[1] - عجيب ما ذكره السلطان عبد المجيد من أن حدود دولة الأمير عبد القادر التي أسسها تمتد حتى إقليم مراكش المغربي ولم يكن قائل هذا الكلام رجلا عاديا إنه السلطان نفسه الذي تجتمع عنده كل تقارير السياسة المحلية والدولية بعد غربلتها وتنقيحها، فحري بالباحثين إلقاء الموبد من البحوث والدراسات في هذا الشأن.